البشارة بالقرآن الكريم
وهيمنته على كتب السابقين

هشام محمد طلبه

بسم الله الرحمن الرحيم

البشارة بالقرآن الكريم وهيمنته على كتب السابقين

الحمد لله الذي أنزل إلينا خير كتبه على أشرف رسله . ذلك الكتاب الذي
لا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء.

مقدمة :

* **وبعد فهذا البحث يعني بإعجاز النبؤات عن القرآن الكريم في كتب أهل الكتاب ، خاصة في التوراة والمخطوطات المكتشفة حديثاً .**

ثم نستعرض إعجاز وصف القرآن لنفسه تجاه علاقته بكتب أهل الكتاب ، وهي علاقة الهيمنة من القرآن على تلك الكتب . وذلك مصداق قوله تعالى : وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتابِ ومهيمنا عليه" (المائدة ٤٨) .

أي أن القرآن الكريم هو الحاكم على ما قبله من الكتب المنزلة من عند ا تعالى والتى طالتها يد التغيير والتحريف ولكن بها بقايا من حق .

* **الجزء الاول من البحث يتحدث بعون ا عن النبؤات الكتابية عن الكتاب الذى يأتي به نبي آخر الزمان ، ألا وهو القرآن الكريم .**
* **والجزء الثاني يستعرض وجهاً فريداً وجديداً من أعجاز القرآن الكريم . وهو إعجاز وصفه لنفسه تجاه كتب أهل الكتاب وهي علاقة الهيمنة . بل إن القرآن إستعرض صوراً لهذه الهيمنة . وقد أحصيناها أربعاً :**

١- الفصل بين كتبهم عند الاختلاف فيما بينها .

٢- إظهار المخفي منها .

٣- تصويب الأخطاء

٤- التوضيح والشرح ومناسبة الألفاظ .

ثم نستعرض مجالات الهيمنة أخيراً والأمثلة على مجالات وصور الهيمنة هذه .

أولاً : النبوءات الكتابية عن القرآن الكريم :

تحدي القرآن الكريم بوضوح ذكره في كتب الأولين . وذلك في قوله تعالى :

" نزلَ به الروح الأم (١٩٣) على قلبك لتكونَ من المنذرين (١٩٤) بلسان عربي مبين (١٩٥). وإنه لفي زبر الأولين (١٩٦) (الشعراء ١٩٣ – ١٩٦) . كما يتضح من سياق الآيات ، الكلام كله عن القرآن الكريم . إذن آخر آية : " وإنه لفي زبر الأولين " تعني القرآن ، أي إنه مذكور في كتب السابقين . وقد ذهب إلى ذلك جل المفرسين من لدن ابن كثير ومن بعده .إلا قليل مثل الزمخشرى الذي يرى أن الضمير في " وإنه " يعود إلى النبي – صلى الله عليه وسلم . والحق أن هناك فقره أخرى في القرآن تقطع ذلك . وهى قوله تعالى : " ولما جاءَهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبلُ يستفْتحونَ على الذين كفَروا فلَما جاءَهم ما عرفُوا كفَروا به فلَعنةُ الله على الكافرين. " (البقرة ٨٩) .

لم يختلف المفسرون على أن الضمير في قوله " ما عرفوا " يعود على القرآن نفسه

= هكذا يشير القرآن إلى أن الكتب السماوية السابقة تورد إشارات عن القرآن نفسه .

= وقد تكلم بعض علماء مقارنة الأديان حول فقرة في العهد القديم (شعيا ٢٩:١١ ، ١٢) يرونها تشير إلى القرآن الكريم وإلى ما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار حين قال له جبريل : اقرأ . فقال صلى الله عليه وسلم : ما أنا بقارىء .. تقول هذه الفقرة : " وصارت لكم هذه الرؤيا جميعها كظلمات كتاب مختوم ، حين يناولنه لمن يتقن القراءة قائلين : اقرأ هذا يجيب : لا أستطيع لأنه مختوم . وعندما يناولونه لمن يجهل القراءة قائلين : اقرأ هذا يجيب : لا أستطيع القراءة ؛ والحق أن ربط الفقرة السابقة بحادث ما دار بين النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام في الغار تحميل للكلمات أكثر مما تحتمل من معاني إلا أن يكون قد حدث طمس للنص الكتابي سواء " كان مقصوداً أو غير مقصود .

= أما = في رأينا – الفقرة التوراتية في هذا المجال التي لا زالت تحتفظ بوضـــوح معانيها فهي التالية :

" حينئذ تكلم خائفو الرب الواحد مع صاحبه وأصغي الرب وسمع وكتب كتاب تذكره أمامه لخائفي الرب المتفكرين في اسمه (١٦) إنهم سيكونون خاصة لي قال رب الجنود يوم أعمل وأشفق عليهم كما يشفق الإنسان على إبنه الذي يخدمه (١٧) ، فتتوبون وتميزون [1] بين الصديق والمنافق بين الذي يعبد ا والذى لا يعبده فإنه هو ذا يأتي اليوم المضطرم كالتنور فيكون جميع المتكبرين وجميع صانعي النفاق عصافة فيحرقهم اليوم الآتي قال رب الجنود حتى لا يستبقى لهم جرثومة ولا أفنانًا وتشرق لكم أيها المتقون لاسمي [2] شمس البر والشفاء في أجنحتها فتسرحون وتطرفون كعجول المعلف وتطأون المنافقين وهم رماد تحت بطون أقدامكم يوم أعمل أنا قال رب الجنود . اذكروا شريعة موسي عبدي التي أوصيته بها في حوريب إلى جميع إسرائيل رسوماً وأحكاماً (ملاخي ٣: ١٦ ، ١٨ ، ٤:١ – ٤) كتاب اليسوعيين) .

= تتحدث هذه الفقرة من التوراة عن فريق من اليهود الأتقياء يذكرون ا فيما بينهم ويسمع ا لهم ويكتب لهم كتاب تذكرة فيتوبون ويميزون مرة ثانية بين الصالح والطالح .

ثم تذكر الفقرة بعد ذلك مباشرة مجيء المسيح المنتظر وانتصاراته ، ثم أخيراً وصيته باتباع تعاليم موسي .

وقد أجمعت تفاسير النصاري للكتاب المقدس على أن كتاب التذكرة هذا ليس إلا (لستة) تدون فيها أسماء خائفي الرب . وأن صفة التذكرة للكتاب ليست إلا لإنعاش ذاكرة الرب[3] (تعالى عن ذلك) .

وأن كلمة (تميزون بين الصديق والمنافق) تعني ترون الفارق بينهما إذ يدخل الأول في ملكوت الرب بينما يعذب الآخر .

---

[1] في طبعة كتاب الحياة نجد : (فتشرعون ثانية في ا لتمييز بين الصالح والطالح) وقد ورد في تفسير الكتاب المقدس : (The International Critical Commentary) أن كلمة (ثانية) هي الأكثر انتشاراً في المخطوطات القديمة .

[2] في الترجمة الإنجليزية (يا من تخافون إسمي).

[3] The International Critical Commentary

تأملت هذه الفقرة ووقفت عند كلمات . كتاب تذكرة .. تميزون .. مرة ثانية .. ونظرت في تفسيرات النصاري فما وجدتها مقنعة . فالرب لا يحتاج لتذكرة من كتاب أو من غيره . كما أن كلمة تميزون لا تعني أبداً : ترون هذا يعذب وهذا ينعّم .

* ثم خطر لي أن كتاب التذكرة هذا ليس إلا القرآن الكريم ، فقد سمي القرآن نفسه بالذكر والتذكرة والذكري في عشرات المواضع منه (ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (آل عمران : ٥٨) ،(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر٩ (وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ)(الحاقة : ٤٨) ، (كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ) (المدثر ٥٤) ، (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ) (الأنعام : ٩٠) .

وأن هذه الفقرة نبوءة عن الكتاب الذي يأتي به النبي المنتظر وقد بشر به خائفو الرب من يهود فيميزون مرة ثانية (المرة الأولى أيام موسى) ، بين النبي الحق (المسيا) والدعي ثم يسود هذا النبي وأتباعه . وعلي خائفي الرب هؤلاء ، أن يعملوا بشريعة موسي حتي يأتي المسيا .

الدليل على هذا التفسير هو ما يلي :

١- صفة التذكرة في الكتاب لابد أن تكون لخائفي الرب لأن الرب لا يحتاج لتذكير وليس هناك احتمال ثالث .

٢- تسمية القرآن نفسه بهذا الإسم كثيراً كما أوردنا .

٣- التوبة والتمييز في كلمة (فتتوبون وتميزون) مرتبطة بوضوح بكتاب التذكرة والتفسير المسيحي لا يعطينا هذه الرابطة .

٤- الكلام عن يوم مجيء المسيا وانتصاراته عقب ذكره كتاب التذكرة فالتوبة والتمييز. فبعد كتاب التذكرة قال : (فتتوبون وتميزون ...) ثم قال مباشرة (فإنه هذا يأتي اليوم ...) وهو باتفاق التفاسير يوم مجيء المسيا الذي هو في نظر النصاري المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام .

هذا يبين علاقة كتاب التذكرة هذا بالمسيا . تقوي هذه العلاقة معرفتنا أن الآية الثانية من الإصحاح الرابع تتكلم عن منتظري المسيا من اليهود[4] وهم (المتقون لاسم الرب) أو (خائفو اسم الرب) كما في الترجمة الانجليزية . الذين لابد أن يكونوا هم (خائفو الرب) المذكورون في أول النبوءة والذين كتب لهم كتاب التذكرة .

يكون معني النبوءة إذن : كتب (أو سيكتب ا كتاب تذكرة لخائفيه منتظري المسيا ، نتيجة ذلك يتوبون ويميزون مرة أخرى بين الدعي والنبي وهو هذه المرة المسيا نفسه .

وكتاب التذكرة الذي كتب لمنتظري النبي المنتظر والذي نتيجة له يتوب ويميز الفريق النقي من اليهود لابد أن يكون القرآن إذن .

٥- التذكير بشريعة موسي في آخر النبوءة . ولو أن تفسير الكتاب المقدس المعنون :

"International Critical Commentary"

يرى هذه الفقرة لا علاقة لها بما قبلها – وذلك للعمل بتلك الشريعة حتى يأتي كتاب التذكرة *** = يتضح ذلك أكثر في (وثيقة دمشق) [5]وهي مخطوطة من أقدم المخطوطات اليهودية وقد وجدت في مخطوطات البحر الميت التى توصي باتباع الشريعة القديمة وطاعة المسيا والعمل بشرائعة . وذلك عقب ذكرها لنفس سياق كتاب التذكرة .

* ومن المفيد هنا أن نذكر ترجمة ذلك الجزء من (وثيقة دمشق) الذي – يقابل النبوءة (لكن أولئك الذين تحولوا عن خطيئة يعقوب الذين يحفظون عهد ا سوف يتكلم الواحد(١٧) منهم مع صاحبه ليحفظوا صدقهم وسلامة خطواتهم على طريق ا وسوف يصغى الرب (١٨) ويسمع . وسوف يكتب كتاب تذكرة (أمامه) لخائفي الرب المتفكرين في إسمه (١٩) حتى يوحي الخلاص والصدق لخائفي الرب . وسوف يميزون مرة ثانية بين البريء (٢٠) والمذنب (أو الصدّيق) والمنافق بين

([4]) تفسير Adam Clarke – وسوف يؤكد ذلك أيضا (وثيقة دمشق) وهي مخطوطة قديمة لهذا النص سنذكرها لاحقاً) – وهي من مخطوطات البحر الميت .

[5]الاصحاح ١٨:٢٧-٣٣.

الذي يعبد ا والذي لا يعبده .. (٢١). وسوف يظهر الرحمة (لآلاف) لأولئك الذين يحبونه وأولئك الذين ينتظرونه من أجله (لآلاف الأجيال .. (٢٢) .

وأولئك الذين تعدوا الحدود سوف ينفصلون من المعسكر وفاعلو الشر من أبناء يهوذا(٢٦) (كان أصحاب هذه المخطوطات فريقاً من اليهود يعيشون في البرية بعيداً عن بقية بني إسرائيل في معسكرات) لكن أولئك الذين يتمسكون بالشرائع الأولى . (٢٧) ويطيعون المعلم (النبي المنتظر) ويعترفون أمام ا (٢٨) : لقد ارتكبنا الإثم نحن وآباؤنا في سيرنا على غير ما يقول العهد (٢٩) أحكامك علينا صادقة وصحيحة) ولا يرفعون يداً على شرائعه المقدسة (٣٠) وأحكامه الصادقة وبراهينه الصحيحة وائتمروا بقوانينه (٣١) التى يحتكم بها رجال الجماعة (معسكر هذا الفريق من اليهود) وأطاعوا معلم الصدق (المسيا) ولم يرفضوا الشرائع (٣٢) الحقة حين يسمعونها . أولئك الرجال سوف يبتهجون ويسعدون ، سوف يصبح قلبهم قوياً وسوف يظهرون (يسودون) (٣٣) فوق كل سكان العالم ، سوف يغفر ا لهم وسوف يرون خلاصه لأنهم اعتصموا في أسمه المقدس[6] (وثيقة دمشق) (١٨:١٧-٣٤) .

= هذه الفقرة من وثيقة دمشق تؤكد ما ذهبنا إليه في تفسيرنا .

... فقوله في أول الفقرة إن كتاب التذكرة سوف يكتب حتى يوحي الخلاص والصدق لخائفي الرب يفهم منه أن هذا الكتاب سوف يكتب ويكون عند الرب حتى يكون إذنه بوحي الخلاص والصدق إلى المسيا وبالتالي إلى منتظريه . بذلك يخرج هذا الكتاب ويتحرر .. وطالما هذا الكتاب هو وحي ا لاتباع المسيا فلابد أن يكون القرآن الكريم .

.. كذلك تتكلم هذه الفقرة بوضوح من أولها لآخرها عن منتظري المسيا (الذين ينتظرون من أجله) - (يطيعون المعلم) - (أطاعوا معلم الصدق) وهذا يؤكد أن كتاب التذكرة خاص بهم كما أكد من قبل (آدم كلارك) في تفسيره لنبوءة (ملاخي) كما أسلفنا .

* كذلك هذه الوثيقة تحل إشكالية كلمة (تميزون مرة ثانية) لأنها تدعو إلى التمسك بالشرائع الأولى أولاً وطاعة شرائع معلم الحق (المسيا) ثانية . (٢٧ ، ٢٨) .

---

[6] الاصحاح ١٨:٢٧ -٣٣.

أيضاً توصي هذه الفقرة باتباع النبي المنتظر وعدم رفض شرائعه المقدسة والبراهين التي يأتي بها وهذا مستغرب إذ أن اليهود ينتظرون المسيا بفارغ الصبر فكيف يكذبونه . لكن هذا ما حدث بالفعل مع محمد صلى ا عليه وسلم إذ كفر به اليهود ولم يتبعه إلا فريق صغير منهم كما ذكرت أيضاً (هذه الفقرة من وثيقة دمشق) .

** .. ومن غريب أن هذه الوصية تجدها في القرآن الكريم إذ دعا موسي ربه ورد عليه المولي عز وجل - وكان معه سبعين رجلاً (اختارهم فقال) :

(واكْتب لنا في هذه الدنيا حسنةً وفي الْآخرة إنا هدنا إليك قَالَ عذَابِي أُصيب بِهِ من أشاءُ ورحمتي وسعت كُل شيءٍ فَسأكْتبها للذين يتقُونَ ويؤتونَ الزكَاةَ والذين هم بِآياتنا يؤمنونَ (١٥٦) الذين يتبِعونَ الرسولَ النبِي الْأمي الذي يجِدونه مكْتوبا عندهم في التوراة والْإنجِيلِ يأمرهم بِالْمعروف وينهاهم عنِ الْمنكَر ويحل لَهم الطيبات ويحرم علَيهم الْخبائثَ ويضع عنهم إِصرهم والْأَغْلَالَ التي كَانت علَيهم فَالذين آمنوا بِهِ وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزِلَ معه أُولَئك هم الْمفْلحونَ) < الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧ >

ذكرت هذه الفقرة القرآنية أيضاً (أن من صفات النبي المنتظر في التوراة أن يأتي بشريعة (أمر ونهي) تماماً كما ذكر في وثيقة دمشق التى نحن بصددها (٢٨ ، ٣١ ، ٣٣) ففيها أمر بإتباع الشرائع السابقة وإتباع شريعة المسيا كذلك .

ومن القرائن أيضاً في هاتين الآيتين دعاء موسي بحسنتي الدنيا والآخرة الذي نجده في وعد ا في آخر وثيقة دمشق ٣٣ - ٣٤) وسوف يظهرون فوق كل سكان الأرض ، سوف يغفر ا لهم) .

= هذه الفقرة من وثيقة دمشق بها العديد من المواضع الأخرى تتكلم فيها عن منتظري نبي آخر الزمان كما تكلم القرآن عن منتظري النبي صلى ا عليه وسلم من أهل الكتاب فآخر العدد ٣٢ ، ٣٣ (.. ويطيعون معلم الصدق (المسيا) ولا يرفضون الشرائع الحقة حين يسمعونها ..) ..

تذكرنا بقوله تعالى : (الذين آتيناهم الْكتاب من قَبله هم بِه يؤمنونَ (٥٢) وإِذَا يتلَى علَيهم قَالُوا آمنا بِه إِنه الْحق من ربنا إِنا كُنا من قَبله مسلم (٥٣) أُولَئك يؤتونَ أَجرهم مرتين بِما صبروا ويدرءُونَ بِالْحسنة السيئَةَ ومما رزقْناهم ينفقُونَ) (القصص : ٥٢-٥٤)

* كذلك بقية العدد ٣٣ (... أولئك الرجال سوف يبتهجون ويسعدون وسوف يصبح قلبهم قوياً ...) يذكرنا مباشرة بقوله تعالى : (وليعلَم الذين أُوتوا الْعلْم أَنه الْحق من ربك فَيؤمنوا بِه فَتخبِت له قُلُوبهم وإِن الله لَهاد الذين آمنوا إِلَى صراط مستقيمٍ) <الحج:٥٤>.
* وقوله في آخر ٣٣ ، ٣٤ (.. سوف يظهرون فوق كل سكان الأرض ..) تذكرنا بآخر سورة الصف (.. فَآمنت طَائفَةٌ من بنِي إِسرائيلَ وكَفَرت طَائفَةٌ فَأَيدنا الذين آمنوا علَى عدوهم فَأَصبحوا ظَاهرِين) < الصف : ١٤> .
* كما توجد فقرة قرآنية أخرى في هذا المجال : (يا أَيها الناس قَد جاءَكُم برهانٌ من ربكُم وأَنزلنا إِلَيكُم نورا مبِينا (١٧٤) فَأَما الذين آمنوا بِالله واعتصموا بِه فَسيدخلُهم في رحمة منه وفَضلٍ ويهديهِم إِلَيه صراطًا مستقيما) < النساء : ١٧٤، ١٧٥ > .
* وقوله تعالى : قَد جاءَكُم برهانٌ من ربكُم (١٧٤) تذكرنا بكون منتظري المسيا في العدد ٣٠، ٣١ لا يرفعون يداً على البراهين الصادقة حين يسمعونها وقوله : واعتصموا بِه (١٧٥)) يذكرنا بآخر وثيقة دمشق (.. لأنهم اعتصموا في إسمه المقدس)

ثانيا : إعجاز ما وصف به القرآن نفسه تجاه سابقيه من الكتب

ذلك الوصف هو الهيمنة ، وقد تمثل ذلك في قوله تعالى : " **وأنزلْنا إليك الْكتاب بِالْحق مصدقًا لما بين يديه من الْكتابِ ومهيمنا علْيه..** " (المائدة ٤٨)

يندرج هذا تحت بند الإعجاز الغيبي للقرآن .

= **تفسير** : **الهيمنة في التفاسير المعروفة**

* يقول ابن كثير ناقلا عن ابن عباس " ومهيمنا " أي حاكما على ما قبله من الكتب.. فهو أمين و شاهد وحاكم .

* **أما القرطبي** فيقول .. " ومهيمنا عليه " أي عالياً عليها ومرتفعاً وهذا تأويل من قال بالتفضيل أي كثرة الثواب . ثم ذكر عن ابن عباس : مؤتمنا عليه . وعن سعيد بن جبير " القرآن مؤتمن على ما قبله من الكتب ثم ذكر القرطبي : إذا كان له حافظاً فهو مهيمن .

بعد ذلك ذكر تفسير لمجاهد (تفرد به) أن محمداً صلى ا عليه وسلم مؤتمن على القرآن ، أي أن الهيمنة ليست عائدة للقرآن على الكتب السابقة إنما للنبي صلى ا عليه وسلم تجاه القرآن (وهذا غريب) .

* **وأما الطبري** ، ففسر الآية كلها تفسيراً جامعاً فقال : < " أنزلنا إليك يا محمد "الكتاب" ، وهو القرآن الذي أنزل عليه ، ويعني بقوله :" بالحق " ، بالصدق ولا كذب فيه ، ولا شك أنه من عند ا ، " مصدقا لما بين يديه من الكتاب " ، يقول : أنزلناه بتصديق ما قبله من كتب ا التى أنزلها إلى أنبيائه ، " ومهيمنا عليه " ، يقول : أنزلنا الكتاب الذى أنزلناه إليك يا محمد مصدقاً للكتب قبله ، وشهيداً عليها أنها حق من عند ا ، أمينا عليها ، حافظاً لها ، وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب .. قال ابن جريج وقال آخرون : القرآن أمين على الكتب فيما إذا أخبرنا أهل الكتاب في كتابهم بأمر ، إن كان في القرآن فصدقوا ، وإلا فكذبوا > ثم روى عن ابن عباس

:"ومهيمناً عليه " يعني : أميناً عليه ، يحكم على ما كان قبله من الكتب . وأخيراً ذكر في تفسير آخر للهيمنة : " ومهيمناً عليه " رقيبا يقضي على ما قبله من الكتب

* **تفسير فتح القدير فسر الآية تفسيراً رائعاً حيث قال : (والمعنى على قراءة الجمهور : أن القرآن صار شاهداً بصحة الكتب المنزلة ومقرراً لما فيها مما لم ينسخ وناسخاً لما خالفه منها ، ورقيباً عليها وحافظاً لما فيها من أصول الشرائع، وغالباً لكونه المرجع في الحكم منها والمنسوخ ، ومؤتمناً لكونه مشتملاً على ما هو معمول به منها وما هو متروك .**
* **تفسير البيضاوي : ذكر أن قوله " ومهيمنا عليه " تعني ورقيباً على سائر الكتب يحفظه من التغيير ويشهد له بالصحة والثبات .[٧]**
* **تفسير " روح المعاني " للألوسي يقول : (" ومهيمناً عليه " قال الخليل وأبوعبيدة أي رقيباً على سائر الكتب السماوية المحفوظة عن التغيير حيث يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر أصول شرائعها وما يتأبد من فروعها ويعين أحكامها المنسوخة[٨]**
* **تفسير التحرير والتنوير " فسر المهيمن بالعالي والرقيب .. فهو يؤيد لبعض باقي شرائع ما قبله ومبطل لبعض ما في الشرائع السالفة وناسخ لأحكام كثيرة[٩]**
* **تفسير الظلال لسيد قطب رحمه ا ، قال أجمل ما قيل في هذا الباب على الإطلاق ، < وأنزلنا إليك الكتاب بالحق > يتمثل الحق في صدوره من جهة الألوهية ... ويتمثل الحق في محتوياته .. وفي كل ما يقصه من خبر ، وما يحمله من توجيه .. " مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه " .. فكل اختلاف يجب أن يرد إلى هذا الكتاب ليفصل فيه . سواء كان هذا الاختلاف في التصور الاعتقادي بين أصحاب الديانات السماوية ، أو في الشريعة التي جاء بها هذا الكتاب[١٠] .**

---

[7] هذا التفسير وما سبقه مأخوذ عن القرص المدمج " القرآن الكريم " مع مجموعة تفاسير . إنتاج شركة عين .

[8] " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني " للألوسي . المكتبة التوفيقية – مجلد ٤ ص ٢٠٧

[9] " تفسير التحرير والتنوير " للطاهر بن عاشور – الدار التونسية للنشر مجلد ٦ – ٧ ص ٢٢٠ ، ص ٢٢١

[10] في ظلال القرآن ، سيد قطب . دار الشروق – مجلد٢ ص ٩٠٢

- **يتضح من استعراض هذه التفاسير أن هيمنة القرآن على سابقيه من كتب أهل الكتاب هي كونه مرجعا ورقيبا وحاكماً على ما فيها من الأمور التشريعية وكذلك العقائدية والقصص و المصطلحات والأمثال .**

= إذن مجالات هذه الهيمنة هي : التشريع ، العقائد ، الأمثال ، المصطلحات ، والقصص

* **صور الهيمنة :**

قصد بصور الهيمنة أنواعها المختلفة ، وقد كان عجيبا أن كل صورة للهيمنة قد ذكرها القرآن الكريم له على سابقيه من الكتب وجدنا لها تحقيقاً مما نقرأه في كتب و مخطوطات أهل الكتاب . ولنعرض الآن لأنواع وصور هذه الهيمنة .

(١) **الفصل بين كتب أهل الكتاب المختلفة حول القضية الواحدة .**

وقد تمثل ذلك في قوله تعالى : " إن هذَا الْقُرآنَ يقُص علَى بنِي إِسرائيلَ أَكْثَر الذي هم فيه يختلفُونَ. " (النمل ٧٦) وفي قوله تعالى : " وما أنزلْنا علَيك الْكتاب إِلا لتبين لَهم الذي اختلَفُوا فيه.. "(النحل ٦٤)

التفاسير :

= قال **القرطبي** في تفسير الأولى : " ذلك أنهم (أهل الكتاب) اختلفوا في كثير من الأشياء حتى لعن بعضهم بعضاً والمعنى أن هذا القرآن يبين ما حرفوه من التوراة والإنجيل وما سقط من كتبهم من الأحكام .

أما **إبن كثير** فيقول : " (هذا الإختلاف) كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه فاليهود افتروا والنصارى غلوا فجاء القرآن بالقول الوسط الحق .

فتح القدير : " أهل الكتاب تفرقوا وتحزبوا أحزاباً يطعن بعضهم على بعض ويتبرأ بعضهم من بعض ، فنزل القرآن مبيناً لما اختلفوا فيه من الحق ، فلو أخذوا به لوجدوا فيه ما يرفع اختلافهم ويدفع تفرقهم .

تفسير البغوي : < " إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل .. " أي يبين لهم " أكثر الذى هم فيه يختلفون " من أمر الدين ، إن أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزاباً يطعن بعضهم على بعض ، فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه[11]

أما تفسير الظلال – رحم ا صاحبه – فكان تفسيره أكثر من رائع . إذ ربط بين أواخر الآية السابقة للآية التي نحن بصددها . وهي قوله : " (وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين . " فقال رحمه ا (وبمناسبة الحديث عن علم ا المطلق يذكر ما ورد في القرآن من فصل فيما اختلف عليه بنو إسرائيل.)"[12] ثم تحدث رحمه ا كيف اختلف النصارى في المسيح وأمه وطبيعته ومسألة صلبه المزعومة .. (أي أن القرآن) (حدثهم حديث الصدق عن تاريخهم وأنبيائهم)"[13]

= **نخلص من هذه التفاسير أن تفسير الآية هو الفصل بين الجماعات والكتب عند أهل الكتاب في القضية الدينية الواحدة في تاريخهم وعقائدهم** .

= **من أمثلة ذلك** ما اختلف عليه التوراه الحالية وكتاب الترجوم المعروف عند اليهود في مسألة الجبل الذى رست عليه سفينة نوح . حيث تزعم التوراة الحالية أنها رست على جبل أرارات (سفر التكوين ٨:٤) . بينما يذكر الترجوم (اونكيلوس)[14] Targum Onkelos On Genesis أن السفينة رست على جبل " كاردو" أو "الجودي" . والقرآن ليس من عادته الاهتمام بالأسماء ، لكنه ذكر اسم المكان هنا (الجودي) تحديا للتوراة الحالية وإنصافاً للترجوم في هذه الجزئية . وهذا دور القرآن في الفصل بين الفرق والكتب عند أهل الكتاب .

= **ومن أمثلة ذلك** أيضا اختلاف فرق النصارى القديمة وأناجيلهم في مسألة صلب المسيح عيسى فقد ذكر إنجيل يهوذا المكتشف حديثاً (سبعينات القرن العشرين) أن يهوذا الاسخريوطي لم يكن خائنا وأنه ضحى بنفسه فداء للمسيح عيسى بالاتفاق

---

[11] هذا التفسير وما سبقه مأخوذ عن القرص المدمج " القرآن الكريم " مع مجموعة تفاسير – إنتاج شركة عين .
[12] في ظلال القرآن " سيد قطب – دار الشروق – مجلد ٥ ص ٢٦٦٤
[13] "في ظلال القرآن" سيد قطب – دار الشروق – مجلد ٥ ص ٢٦٦٥
[14] Bernard Gross feld, "The Aramaic Bible"Vd, G, P.56,57 Michael Glazien ,inc.

معه .. مخالفاً بذلك الأناجيل المعتمدة حالياً – وقد ذكرت ذلك مجلة " ناشيونال جيوجرافيك" National Geographic في عدد مايو ٢٠٠٦ .

حيث يقول عيسى ليهوذا : " سوف تسبق الجميع (جميع الحواريين) لأنك ستفدي الانسان الذى يغلفني"

You will exceed all of them. For you will sacrifice the man that clothes me.

والحق أن " إنجيل يهوذا " (الذي كتب في أواسط القرن الثاني والذى تعود مخطوطته إلى القرن الرابع وهو بذلك من أقدم المخطوطات المسيحية) لم يكن النص الوحيد الذي أنكر صلب المسيح . فهناك كتاب " حديث شيث الأكبر **(The second discourse of great seth)** الذى يقول أن المسيح الحقيقي لم يصلب أبداً .

"The true Christ was never crucified"[15]

وقد كانت هناك طوائف مسيحية عديدة في القرن الثاني الميلادي نحت هذا النحو. فهناك طائفة " المارسيونيين " (أوائل القرن الثاني الميلادي) التى تنكر أن المسيح قد قتل على الصليب [١٦] وهناك بعض الطوائف الغنوسية المسيحية القديمة تقول أن المسيح لم يعلق أبداً على صليب خشبي وأن المسيح لم يمت بل مات بدلا منه سمعان القيرواني بينما وقف يسوع يضحك من غباوة اليهود[١٧] . وهناك كذلك طوائف الكربوكراتيين والسيرنثيين القديمة التى سلكت نفس المسلك[١٨] ولم تنتشر المسيحية التى تؤمن بصلب المسيح حتى يومنا هذا إلا بسلطان الامبراطور قسطنطين الذى اضطهد ومنع اجتماعات وحرق كتب الفرق سالفة الذكر[١٩] والتى خالفت ما أسموه قانون الإيمان الذى وضع في مجمع " نيقية " عام ٣٢٥م والذى أقر الوهية المسيح وصلبه .

* إذن جاء القرآن الكريم بعد ذلك فانتصر للفرق التى أنكرت صلب المسيح عيسى على حساب الفرق التى اختلفت معها وذكر أن حادث الصلب قد حدث فعلاً ولكن ليس للمسيح . ثم جاءت المخطوطات المكتشفة حديثاً وأثبتت ذلك الاختلاف القديم والذى

[15] "National geographic , May 2006 , P.83-84
[16] "National geographic , May 2006 , P.89
[17] د. جون لوريمر " – استاذ اللاهوت – تاريخ الكنيسة – جزء ١ ص ١١٦
[18] المصدر السابق ص ١١١
[19] National Geographic, May 2006,P.92

حسمه القرآن . وبذا تحقق ما ذكره القرآن عن نفسه أنه يفصل بين كتب أهل الكتاب.

(٢) **الصورة الثانية لهيمنة القرآن على كتب السابقين هي** :

إظهار المخفي من هذه الكتب . وقد تمثل ذلك في قوله تعالى :

" يا أهلَ الْكتابِ قَد جاءَكُم رسولُنا يبين لَكُم كثِ ا مما كُنتم تخفُونَ من الْكتابِ ويعفُو عن كثِ ٍ قَد جاءَكُم من الله نور وكتاب مبِ ." (المائدة ١٥) .

وفي قوله تعالى : " وقَالُوا أساط الْأَولِ اكْتتبها فَهِي تملَى علَيه بكْرةً وأَصيلًا **(٥)** قُلْ أَنزلَه الذي يعلَم السر في السماوات والْأَرضِ إِنه كَانَ غَفُورا رحيما (الفرقان ٦) .

* معنى الآيات واضح وهو أن هناك كتباً مخفية أو تعد أسراراً لدى أهل الكتاب لا يعلمها سواهم أو حتى بعض علمائهم . تحدى ا أن يظهر بعضها على يد نبيه صلى ا عليه وسلم . ثم أن وجود هذه الكتب المخفية والسرية هذه – بحد ذاته – معجزة للنبي صلى ا عليه وسلم – إذ تثبت ألوهية المصدر لما جاء به صلى ا عليه وسلم .
* **قال إبن كثير** في تفسيره[٢٠] للآية الاولى (" .. يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير .. " أي يبين ما بدلوه وحرفوه وأولوه وافتروا على ا فيه ويسكت عن كثير مما غيروه ولا فائدة في بيانه ..) ثم قال عن ابن عباس : من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن .. فكان الرجم مما أخفوه .
* أما الآية الثانية ففسرها بالآتي : (أي أنزل القرآن المشتمل على أخبار الأولين والآخرين إخباراً حقاً صدقا مطابقاً للواقع في الخارج ماضيا ومستقبلا – الذى يعلم السر – أي ا الذى يعلم غيب السماوات والأرض ويعلم السرائر كعلمه بالظواهر[٢١]

أما سيد قطب رحمه الله فقد زاد في " تفسير الظلال " للآية الأولى أن النصارى

[20] "تفسير القران العظيم " – دار إحياء الكتب العربية جزء ٢ ص ٣٤

[21] تفسير القران العظيم " – دار إحياء الكتب العربية جزء ٣ ص ٣٠٩

أخفوا التوحيد ، بينما أخفى اليهود بعض الشرائع ، وكلاهما أخفوا نبؤات النبي محمد صلى الله عليه وسلم[٢٢]

* **أما الألوسي** فقال في " روح المعاني " في تفسير الآية الثانية " (وهو أمر أنزله الله تعالى الذى لا يعذب عن عمله شيء من الأشياء وأودع فيه فنون الحكم والأسرار على وجه بديع لا تحوم حوله الأفهام حيث أعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته وأخبركم بمغيبات مستقبلة وأمور مكنونة لا يهتدي إليها ولا يوقف إلا بتوفيق الله تعالى العليم الخبير عليها وإذا أرادوا ببكرة وأصيلا خفيه عن الناس إزداد موقع السر حسناً[٢٣] .
* **أما تفسير التحرير والتنوير** للآية الثانية (وقالوا أساطير الأولين...) فقال أن (تعريف السر تعريف الجنس يستغرق كل سر . وفيه إسرار الطاعنين في القرآن عن مكابرة وبهتان أي يعلم أنهم يقولون في القرآن ما لا يعتقدونه ظلماً وزوراً منهم. وبهذا يعلم موقع جملة " إنه كان غفوراً رحيماً ترغيبا لهم في الإقلاع عن هذه المكابرة وفي اتباع دين الحق يغفر الله لهم ويرحمهم . وذلك تعريض بأنهم إن لم يقلعوا ويتوبوا حق عليهم الغضب والنقمة .)[٢٤]

أما ما قاله نفس التفسير للآية الأولى (يا أهل الكتاب ..) (.. وإنبائهم ما لا يعرفه غير علمائهم وما لا يستطيعون إنكاره أقبل عليهم بالخطاب بالموعظة . إذ قد تهيأ من ظهور صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ما يسهل إقامة الحجة عليهم ولذلك بدأ وصف الرسول بأنه يبين لهم كثيراً مما كانوا يخفون من الكتاب ثم أعقبه بأنه يعفو عن كثير . ومن يعفوا يعرض ولا يظهر)[٢٥]

* **مما سبق** – خاصة تفسير التحرير والتنوير – يتضح أن الغرض من إظهار المخفي من كتب أهل الكتاب هو إقامة الحجة عليهم . إذ أنى لمحمد صلى الله عليه وسلم الأمي

---

[22] " في ظلال القرآن " المجلد الثاني ص ٨٦١ ، ص ٨٦٢
[23] " روح المعاني" جزء العاشر ص ٣٢١
[24] ص٣٢٦ جزء ١٩ .
[25] ص ١٥٠ جزء ٦-٧

– لا بعلم الكتب المعروفة لدى أهل الكتاب فحسب – بل بعلم المخفى منها مما يقطع بصدق نبوته صلى ا عليه وسلم .

- والعجيب أن مصطلح الكتب المخفية كما فهم من الآية الأولى ومصطلح كتب الأسرار المذكوران في القرآن (كلاهما نجده في علوم أهل الكتاب . إذ عندهم طائفة من الكتب القديمة التى لم تقرها المجامع الدينية المسكونية (العالمية) يسمونها The Apocrypha وهي تعني حرفيا إما كتب مخفية hidden books أو كتب أسرار secret books يرجع في ذلك لآية دائرة معارف كتابية . وهي طائفة كبيرة من الكتب أكبر من أن تحصى . لذلك عرض القرآن بعضاً منها وأعرض عن البعض كما قالت الآية " ويعفو عن كثير " يندرج تحت ذلك أيضاً المخطوطات المكتشفة بعده صلى ا عليه وسلم بقرون عدة كمخطوطات البحر الميت ومخطوطات نجع حمادي التى تكلم القرآن الكريم عن فقرات عديدة منها . ذلك لأنها بالنسبة له صلى ا عليه وسلم غيباً أو سراً .

= هذه الكتب عددها كبير جدا وقد كتبت بالعديد من اللغات كالعبرية والآرامية والسريانية والقبطية واللاتينية واليونانية وغيرها . كما إنها لم تصبح معروفة لدينا إلا عبر وقت طويل جداً ، إذ استغرقت معرفتنا لها قروناً عدة ، هذا عدا الكتب التي لا زالت مجهولة لنا تنتظر من يكتشفها[26] كذلك لم تكتشف هذه الكتب في مكان واحد . بل وجدناها في أماكن متفرقة ، في سيناء ، نجع حمادي ، كهوف البحر الميت ، العراق ، اليونان ، الفاتيكان ، مكتبات نبلاء أوروبا وغيرها . لا يفوتنا كذلك أن حجم الكتاب في الماضي كان كبيراً وعلى هيئة قراطيس . ثم ان الكتاب العادي (لا المخفي) كان نادراً . ذلك لأن النسخ كان يدوياً ، ولحرق كتب أصحاب الديانات على أيدي الأباطرة المخالفين في العقيدة .

* ما مدلول ما سقناه هنا ؟

---

[26] “we can not know how many books were lost as the bible took shape, but we know that some were hidden away. “ (National geographic , May 2006 , P.22)

** إننا لا نعرف كم فُقد من الكتب حتى تشكل الكتاب المقدس !! لكنا نعلم أن بعض هذه الكتب لازال مخفياً !!

* هل من الممكن أن يكون محمداً صلى ا   عليه وسلم قد اتطلع على كل هذه الكتب المخفية ؟ وهو الأمي .. " وما كُنت تتلُو من قَبله من كتابٍ ولَا تخطه بِيمينِك إذًا لَارتاب الْمبطلُونَ " (العنكبوت ٤٨) .

* هل من الممكن أن يكون قد تعلم لغات كتب أهل الكتاب على كثرتها ؟ وقد رد ربنا على هذه : " ولَقَد نعلَم أنهم يقُولُونَ إنما يعلمه بشر لسانُ الذي يلْحدونَ إلَيه أعجمي وهذَا لسانٌ عربِي مبِ " (النحل ١٠٣)

* لماذا لم يتفق القرآن مع هذه الكتب على كثرتها إلا في التفاصيل المنطقية فقط ؟

وهذه الكتب مليئة بالأخطاء العلمية والتاريخية واللغوية والمنطقية . لدرجة أن دائرة المعارف البريطانية أحصت أكثر من مائة ألف خطأ في العهد القديم والجديد وحدهما !! وقد رد ربنا على هذه أيضاً "أَفَلَا يتدبرونَ الْقُرآنَ ولَو كَانَ من عند غَيرِ الله لَوجدوا فيه اختلَافًا كَثِ ا" (النساء ٨٢) .

* من أمثلة الكتابات المخفية التى بينها القرآن الكريم فقرة نجدها في مخطوطات نجع حمادي تتكلم عن صفات نبي آخر الزمان وأتباعه . وذلك في سفر يدعي The Aprocryphon of James أي " رسالة جيمس السرية (المخفية) " .

حيث نقرأ تشبيها لمملكة السماء – وهي دولة نبي آخر الزمان التى تضمه مع أتباعه – يشبهها المؤلف بنخلة خرج منها فرخها – أي برعمها – ثم تدلى من هذا البرعم ثمار حولها . حين شبت هذه الثمار استغلظت .

Do not allow the kingdom of heaven to wither ; for it is like a palm shoot whose fruit has dropped down around it. They (i.e. the fallen fruits) Put forth leaves , and after they had sprouted , they caused their womb to dry up. So it is also with the Fruit which had grown from this single root.[27]

[27] James M, Robinsan, the Nag Hammadi Library. P.208

مخطوطات نجع حمادي التى وجدت فيها هذه الرسالة السرية . اكتشفت فقط عام ١٩٤٥م أي بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بثلاثة عشر قرناً.

ألا تذكرنا هذه الفقرة بقوله تعالى : " مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا" (الفتح ٢٩) .

= ومن أمثلة الكتابات المخفية التى كشفها وبينها القرآن الكريم . العديد من التفاصيل في قصص السابقين . مثل خلق عيسى من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن ا والذى نجده في أناجيل الطفولة المخفية ، هو ووجود الطعام أمام مريم أمه بشكل معجز[28] كذلك في قصة يوسف نجد العديد من ذلك مثل جزئية قص يوسف رؤياه على أبيه أولاً الذى نجده في كتاب " العاديات اليهودية " – للمؤرخ يوسيفوس – وجزئية " أرسله معنا غداً يرتع ويلعب"[29] الذي نجده في كتابي بسكيتاربياتي وسيفر عدد النادران . وجزئية " وجاءوا أباهم عشاء يبكون " الذى نجده في كتاب " عهود الأسباط " (وهو من كتب الأسرار المخفية كذلك")

[28] "the ante Nicene fathers"
[29] " the ante Nicene fathers." The writings of the fathers down to A.d. 325, A. Cleveland Coxe (Editor)

٣- الصورة الثالثة لهيمنة القرآن على كتب السابقين هي :

تصويب الأخطاء العقائدية والتشريعية وتلك التى تتعلق بالقصص ، بل والأخطاء العلمية كذلك .

وقد تمثل ذلك في قوله تعالى دائماً بعد قص التفاصيل المصححة لما عند أهل الكتاب :" تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق.." (البقرة ٢٥٢) .

" إن هذا لهـو القصـ ـ ـص الحق.." (آل عمران ٦٢).

" نحن نقص عليك نبأهمـ ـ بالحق.." (الكهف ١٣)

" ذلك عيسى ابن مريم قو ل الحق.." (مريم ٣٤)

" نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق.." (القصص ٣)

أي دائما يذكر ربنا عز وجل كلمة " الحق " في عقب قص القصص الكتابي . أي قص الحق ، تلاوة الحق ، قول الحق ، والإنباء بالحق .

ألا يشير كل ذلك إلى نية التصحيح والتصويب لما عند أهل الكتاب ؟

فقوله تعالى في الآية الأولى :" تلك آيات ا نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين." تعنى أنه من إعجاز النبي ودلائل نبوية ورسالته صلى ا عليه وسلم أن يأتي بتفاصيل مطابقة في مجملها لما عند أهل الكتاب وهو الأمي ، ثم بعد ذلك يأتي القرآن فينقي ويصحح الشوائب والأخطاء الواردة في ذلك لأنه لو كان القرآن من عند غير ا لوجدنا فيه ذلك التناقض واختلاف تفاصيل القصص مع بعضها واختلافها كذلك مع العقل والفكر السليم. كما قال تعالى :" أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كث ا" (النساء ٨٢) .

= **من أمثلة** التصويب القرآني لأهل الكتاب في مجال التشريع ، شريعة الملاعنة التى شرعها القرآن الكريم للزوج الذي يرم زوجة بالزنى وتعسر عليه إقامة البينة ، ذلك بأن يلاعنها . ثم يحضرا أمام القاضي أو الحاكم فيحلف الزوج أربع شهادات با إنه صادق فيما رماها به من الزنا وفي المره الخامسة تكون لعنة ا عليه إن كان مفترياً عليها وكذلك المرأة تشهد أربع شهادات أن زوجها كاذب فيما يقوله عليها .

ثم في المرة الخامسة يكون غضب ا   عليها إن كان زوجها صادقاً (يتلفظ بذلك القاضي أو الحاكم) فإن أمر كل منها وحاف الخمس مرات يفرق بينهما .

قال تعالى : " والذين يرمونَ أزواجهم ولَم يكُن لَهم شهداءُ إلا أنفُسهم فَشهادةُ أحدهم أربع شهادات بِالله إنه لَمن الصادقِ   (٦) والْخامسةُ أن لَعنةَ الله عليه إنْ كانَ من الْكَاذبِ (٧) ويدرؤا عنها الْعذَاب أنْ تشهد أربع شهادات بِالله إنه لَمن الْكَاذبِ   (٨) والْخامسةَ أن غَضب الله علَيها إنْ كَانَ من الصادقِ ." (النور ٦-٩) .

= أما التوراة الحالية فنجد فيها هذه المسألة عجيبة . فتقرأ في سفر العدد(٥:١١ -٢٢) ، باب شريعة الشك بارتكاب الزنى .. " فيجعل الكاهن الزوجة تمثل أمام الرب ، ثم يأخذ ماء مقدساً في إناء من خزف ويلتقط بعض غبار ارض المسكن ويضعه في الماء ، ويكشف رأس الزوجة ، ويضع في يديها تقدمة التذكار التى هي تقدمة الغيرة (عشر الإيفة من دقيق الشعير) ، ويحمل الكاهن بيده ماء اللعنة المر . ويستحلف الكاهن المرأة قائلاً لها : إن كان رجل آخر لم يضاجعك ، ولم تخوني زوجك ، فأنت بريئة من ماء اللعنة المر هذا . ولكن إن كنت قد خنت زوجك وتنجست بمضاجعة رجل غيره . فليجعل الرب لعنة شعبك عليك فيتبرأون منك عندما يجعل الرب فخذك يذوي وبطنك يتورم . وليدخل ماء اللعنة هذا في أحشائك ليسبب ورماً لبطنك ، وليذو خذك . فتقول المرأة "آمين ، آمين "[٣٠]

ولتتأمل معي الفارق الرهيب بين الروايتين والتشريعين فالراوية القرآنية منطقية إلى أبعد الحدود بينما رواية التوراة الحالية لا تحتاج الى تعليق إذ ما ذنب المرأة إن كانت بريئة في شرب ماء مر بل مسمم يقيناً ؟ وما الذي يجعل بطن المسكينة يتورم او فخذها يذوي أو يسقط كما في النصوص المعتمدة الأخرى مثل طبعة البروتوستانت وطبعة الكاثوليك كذلك) هكذا صحح القرآن خطأ هذا التشريع الذى يشبه شرع البابليين القدماء إذ كانوا يربطون قدم المرأة المتهمة بالحديد ثم يرمونها في النهر ، فاذا كانت بريئة لم تغرق!!! .

[30] الكتاب المقدس " طبعة كتاب الحياة .

= أما أمثلة تصحيح القرآن لأخطاء كتب السابقين من جهة العقيدة ، فحدث ولا حرج

= فالقرآن لا تقرأ فيه مثل التوراة الحالية أن ا يستريح (تثنية ٢:٢) أو ينام (مزامير ٥٦:٨٧) أو يصارع إنساناً ويقدر ذلك الإنسان !! (تثنية ٢٢:٣٢ – ٣٢) أو يندم (تكوين ٢١:٨) أو يشم رائحة اللحم المشوي وهي له رائحة رضى على صاحبها (خروج ٢٣:٢٩ – ٢٩) أو أن الأرض موطىء[31] قدميه ولكن القرآن صحح ذلك المعتقد بقوله : " الله لَا إِلَه إِلَّا هو الْحي الْقَيوم لَا تَأْخذُه سنةٌ ولَا نوم لَه ما في السماوات وما في الْأَرضِ من ذَا الذي يشفَع عنده إِلَّا بِإِذْنِه يعلَم ما بين أَيديهِم وما خلْفَهم ولَا يحيطُونَ بِشيءٍ من علْمه إِلَّا بِما شاءَ وسع كُرسيه السماوات والْأَرض ولَا يئُوده حفْظُهما وهو الْعلي الْعظيم (البقرة ٢٥٥) .

= كذلك صحح القرآن أخطاء التوراة الحالية في قصص الأنبياء .

فلم نقرأ في القرآن أن هارون قد صنع العجل الذهب لقومة ليعبدوه من دون ا كما نقرأ في سفر الخروج ٣٢ ، بل صحح القرآن ذلك بقوله :" ولَقَد قَالَ لَهم هارونُ من قَبلُ يا قَومِ إِنما فُتنتم بِه وإِنَّ ربكُم الرحمن فَاتبِعونِي وأَطيعوا أَمرِي . "(طه ٩) .

كما لم نقرأ في القرآن أن سليمان النبي كان تحته ألف من الزوجات والمحظيات وأن قلبه قد انحرف عن ا وعبد آلهة الأمم أي كفر سليمان عندهم (ملوك أول ١١:١-٩)

= لكن القرآن صحح ذلك وبرأ سليمان ، فقال تعالى : " وما كَفَر سلَيمانُ ولَكن الشياطين كَفَروا " (البقرة ١٠٢)

كذلك لم نقرأ في القرآن أن لوطاً عاشر إبنتيه (تكون ٣:١٩ -٣٨) أو أن نبياً آخر (رأوبين) عاشر زوجة أبيه (تكوين ٤:٤٩) أو أن آخر " يهوذا" عاشر زوجة إبنه (تكوين ١٢:٣٨-٢٣) أو أن نبياً آخر (نوح) كان سكيراً وذات مرة تعرى أمام أبنائه بسبب ثمالته (تكوين ٢١:٩) أو أن نبياً آخر (داوود) جامع زوجة صديقه الوفي ثم بعثه في الصفوف الأولى في الحرب ليقتل فيتزوجها هو (صموئيل الثاني ١:١١-١٥) .

= بل قرأنا في القرآن تنزيها كاملاً وتبرأة عامة للرسل في قوله تعالى : " سبحانَ ربك رب الْعزة عما يصفُونَ (١٨٠) وسلَام علَى الْمرسلِ (١٨١) والْحمد لله رب الْعالَم " (الصافات ١٨٠-١٨٢)

[31] هذا ما يعتقده اللاهوتي الشهير ترتليان .. عن تاريخ الكنيسة " جون لوريمر – جزء ٢ ص ٣٢

= أما عن تصحيح القرآن لأخطاء الكتب السابقة من جهة المعاملات فيكفي ذكر ما طالبت به التوراة اليهود وأقرتهم على ظلم الأغيار المخالفين لهم فتقول مثلاً : لا تأكلوا جثة حيوان ميت ، بل اعطوها للغريب .. " (تثنية ٢١:١٤) " .. أما الأجنبي فتطالبه بالدين ، وأما أخوك فتبرئه من ديونه " .. (تثنية ٣:١٥) .

وقد فضح القرآن هذا السلوك وصححه في قوله تعالى : "... ذَلِكَ بِأَنهم قَالُوا لَيس علَينا في الْأُمي سبِيلٌ.. " (آل عمران ٧٥) .

= وقد بلغت العنصرية ضد الأغيار في التوراة ذروتها في أخلاق الحروب .

" أما مدن الشعوب التى يهبها الرب إلهكم لكم ميراثاً فلا تستبقوا فيها نسمة حية ، بل دمروها عن بكرة أبيها .. " (تثنية ١٦:٢٠ – ١٧) .

" ودمروا المدينة (جنود النبي يشوع) وقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال و نساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير ! (يشوع ٢١:٦)

لكن القرآن صوب ذلك وطالب المسلمين بالعكس تماماً : الذين إنْ مكناهم في الْأَرض أَقَاموا الصلَاةَ وآَتوا الزكَاةَ وأَمروا بِالْمعروف ونهوا عن الْمنكَر ولله عاقبةُ الْأُمور "(الحج٤١) .

= أما تصحيح القرآن لأخطاء سابقيه من الكتب من الجهة العلمية .

فسوف أذكر مثالاً واحداً على ذلك ، وهو مراحل خلق الكون . فالتوراة الحالية تقول في بدايات سفر التكوين أن النبات خلق قبل الشمس ! (كيف يحدث تمثيل ضوئي إذن ؟) ثم الطيور ثم الأسماك ثم الحيوان ثم الإنسان! الترتيب العلمي في آية موسوعة جيولوجية هي :الشمس ثم الأسماك ثم النبات ثم الحيوان ثم الإنسان . كما أن الترتيب ليس حاداً فبعض أنواع النبات سبق بعض أنواع الأسماك وهكذا .

- وقد صحح القرآن الكريم ذلك الترتيب بلطف شديد فقال تعالى : " أَلَم تر أَن الله يسجد لَه من في السماوات ومن في الْأَرض والشمس والْقَمر والنجوم والْجِبالُ والشجر والدواب وكَثير من الناس وكَثير حق علَيه الْعذَاب ومن يهِن الله فَما لَه من مكْرِمٍ إِن الله يفْعلُ ما يشاءُ (١٨) . أي أن ترتيب الخلق هو (أ) الشمس والقمر والنجوم (وكانت الأرض غير تامة التكوين) (ب) الجبال .(ج) الشجر .(د) الدواب . (هـ) الإنسان.. وهذا هو الترتيب العلمي .[32]

---

[32] نقلا عن مقال للدكتور أحمد شوقي إبراهيم بجريدة أخبار اليوم ١٩٩٤/٢/٢٦ م بعنوان : " الكون كله ساجد لله " .

٤- **الصورة الرابعة لهيمنة القرآن على كتب السابقين** :

هي التوضيح والشرح ومناسبة اللفظ .. والحق أنه نوع من التصحيح لكنه خفى لا يدرك بسهولة لكنه معجز ...

* **مثال ذلك قوله تعالى : " مَثَلُ الذين حملُوا التوراةَ ثُم لَم يحملُوها كَمثَلِ الْحمارِ يحملُ أسفَارا (الجمعة ٥) فلم يقل تعالى (يحمل كتباً) وسوف يستقيم المعنى . لكن "أسفار" أوقع لأنها اللفظ الذي لازال يستخدم عند اليهود حتى اليوم . فهذا من جميل المناسبة.**
* **ومن أمثلة ذلك قوله تعالى عن إبراهيم :" وامرأته قَائمةٌ فَضحكَت فَبشرناها بِإسحاق ومن وراءِ إسحاق يعقُوب (هود ٧١) فإسم إسحاق في العبرية مشتق من الضحك . يرجع في ذلك لأية قاموس عبري مثل قوجمان .**
* **ومن أمثلة ذلك قوله تعالى لموسى :" اسلُك يدكَ في جيبِك تخرج بيضاءَ من غَيرِ سوءٍ.." (القصص ٣٢) . وقد كتب أعجب من قوله " من غير سوء " إلى أن علمت أن التوراة الحالية تقول أن الرب قال لموسى :" أدخل يدك في عبك : فأدخل يده في عبه وعندما أخرجها إذا بها برصاء كالثلج ." (خروج ٤:٦) .**
* **هنا صوب القرآن ذلك الخطأ واستنكره . إذ كيف لمعجزة أن يكون بها مرض معدي منفر ؟ وأي نبي يبتغي بمعجزته صرف انتباه الناس إليه .**
* **ومن أمثلة ذلك قوله تعالى عن موسى أيضا حين اقترب من الشجرة .." فَلَما جاءَها نودي أنْ بورِك من في النارِ ومن حولَها وسبحانَ الله رب الْعالَمِ .." (النمل٨) قوله : "وسبحان ا رب العالمين " يعني تنزيها عن الشبه بمخلوقاته ، وذلك مذكور في كل التفاسير تقريباً . وقوله : بورك من في النار " أي موسى الذى هو موجود بجوار النار . " ومن حولها " أي الملائكة . أي يا من تسمع هذه الكلمات وتتخيل الموقف .. موسى .. الملائكة .. لا تظن ا تعالى يتجسد في أي موضع من هذا المكان . إذ تقول التوراة الحالية :" وعندما رأى الرب أن موسى قد دنا ليستطلع الأمر ، ناداه من وسط العليقة!! " (خروج ٣:٤) .**

= فصوب القرآن للتوراة الحالية ذلك النص الذى يفهم منه تجسد الذات الإلهية .

* ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :" وَلَقَدْ خَلَقْنَا السماوات والْأَرض وما بينهما في ستة أيامٍ وما مسنا من لُغوبٍ (٣٨) فَاصبِر علَى ما يقُولُونَ وسبح بِحمد ربك قَبلَ طُلُوعِ الشمس وقَبلَ الْغروبِ " (ق ٣٨-٣٩) .

* لماذا قال عز وجل :" فاصبر على ما يقولون " بعد قوله " وما مسنا من لغوب " ذلك لأن التوراة المحرفة تقول: "وفي اليوم السابع أتم ا عمله الذي قام به ، فاستراح فيه من جميع أعماله " (تكوين ٢:٢)

* فطالب ربنا تعالى نبيه صلى ا عليه وسلم ألا تحزنه هذه الإساءة للذات الإلهية.

* وأن يصبر على ذلك . ثم طالبه بالتسبيح أي تنزيه ا تعالى عن كل منقصه كتلك التى نسبوها إليه وهي تنزيهه عن التعب . فصوب القرآن هنا أيضا ذلك الخطا وأنبأ عن علم بما في كتاب اليهود .

* ومن ذلك تصويب لخطأ الخلط بين مصطلحي تابوت وسفينة .

إذ تقول التوراة أن موسى حين ألقى في اليم صغيراً وضع في سفط من البردي بينما يقول القرآن "تابوت" أي صندوق . وذلك بالقطع أوقع لأن السفط ولا غطاء له كالصندوق لا يكون مناسباً إذ أنه يكشف الطفل ثم إن ذلك قد يؤدي إلى إهلاكه لو مرت بجواره سفينة صغيرة أصدرت موجاً ولو صغيرا . أما وجود الغطاء بالتابوت (الصندوق) فيمنع ذلك .

مصطلح التابوت حين رفضه كتبة التوراة هنا وفي موضعه استخدموه بعد ذلك خطأ –النصوص الانجليزية والغربية – إذ استخدموه للتعبير عن سفينة نوح . أي إن شكل السفينة كان كالصندوق ، وسموها Noah Ark أي تابوت نوح ! والحق أن تلك السفينة لو كان شكلها مستطيلا كالصندوق وكما رسموها لانشقت عند أول موجة . العجيب أن القرآن استخدم كلمة "فلك" للتعبير عن سفينة نوح ثمان مرات ثم في مرة واحدة قال "سفينة " ، ذلك لنعرف خصائص تلك السفينة من ناحية الشكل فالفعل سفن الشيء يعني " قشرة " أي كأن السفينة تقشر وتشق وجه الماء .

* أما الفقرة القرآنية التى تنبأ عن جدل القرآن المعجز وتوضيحه لخفايا وثغرات كتب أهل الكتاب فهي قوله تعالى :" لَقَد كَفَرَ الذين قَالُوا إن الله هو الْمَسِيح ابن مريم وقَالَ الْمَسِيح يا بَنِي إسرائيلَ اعبدوا الله ربي وربكُم.. " (المائدة ٧٢) وكذلك قوله تعالى".. ما قُلْت لَهم إلا ما أمرتنِي بِه أن اعبدوا الله ربي وربكُم.. " (المائدة ١١٧) .. ثم نأتي الآن ونجد مصطلح " ربي وربكم " موجود في إنجيل يوحنا .. " إنني سأصعد لأبي وأبيكم وإلهي وإلهكم.. " (يوحنا ١٧:٢٠) . كأن ا يقول لهم في القرآن (خاصة الآية الأولى) : كيف تقولون أن عيسى إله بينما مكتوب عندكم أنه استخدم مصطلح ربي وربكم ؟ أي أن له رب وهو ليس إذن بإله .
* ومن عجائب فهم القرآن وتوضيحه لدقائق الأمور في ملل أهل الكتاب .. أن صوب لهم الاشتقاق الصحيح لاسم الملة اليهودية ..
* إذ أن القرآن استخدم مصطلح " الذين هادوا أو " هدنا " (على لسانهم) إحدى عشر مرة ..بينما استخدم كلمة "يهود" تسع مرات ! .

لم يقل القرآن " الذين ناصروا " للنصارى ، إذن هناك معنى للفعل "هاد" وقد قال أغلب المفسرين معنا أناب أو رجع . والواقع أن ذلك غير صحيح .

لأن من معاني التهويد : هدهدة الصوت (نرجع في ذلك لكتاب "لسان العرب" لابن منظور . الأعجب أن كلمة "هاد" في العبرية أيضاً تعني ترجيع الصوت بالذكر والحمد. (نرجع في ذلك إلى قاموس بن سجيف) . إذن إشتقت كلمة (يهودية) من هذا الفعل وليس من السبط يهوذا كما ظن اليهود وغيرهم . وهذا ما أشار إليه القرآن كما بينا .

- هكذا إستعرضنا آخر صور هيمنة القرآن الكريم على كتب السابقين .

وهي التوضيح والشرح ومناسبة الألفاظ .

وقد ضربنا الأمثال لكل صورة من صور الهيمنة هذه . إلا أن هناك مثلين جامعين نجد فيهما صور الهيمنة كلها . وهما قصتا البقرة واصحاب السبت ، ففيهما من إظهار ما خفي من كتب أهل الكتاب أو بين ثنايا التوراة واحتاج إلى ترابط وتنسيق وتوضيح . ومع ذلك كله فيها الفصل بين كتبهم المتعددة .

هاتان القصتان جديرتان بشيء من التفصيل ، خاصة قصة أصحاب السبت .

لأن القرآن تحدى اليهود بوجودهما عندهم . فبعد قوله تعالى :

" يا أيها الذين آمنوا لا تتخذُوا الذين اتخذُوا دينكُم هزوا ولَعبا من الذين أُوتوا الْكتاب من قَبلكُم والْكُفار أولياءَ واتقُوا الله إنْ كُنتم مؤمنِ ." (المائدة ٥٧) ذكر في الآية اللاحقة رقم ٥٨ صورة من صور استهزائهم هذا ألا وهو الاستهزاء بالآذان . ثم ذكر تعالى في الآية رقم ٦٠ " قُلْ هلْ أُنبئُكُم بِشر من ذَلك مثُوبةً عند الله من لَعنه الله وغَضب علَيه وجعلَ منهم الْقردةَ والْخنازير وعبد الطاغُوت.. " أي طالما المسألة فيها تقريع خذوا من ا التقريع الأشد والأحق والأصدق وهو وجود في تاريخكم من جعلوا قردة وخنازير عقاباً لهم ، وفي ذلك تقريع شديد لصاف اليهود .

قصة البقرة

" وإذْ قَالَ موسى لقَومه إن الله يأمركُم أنْ تذْبحوا بقَرةً قَالُوا أتتخذُنا هزوا قَالَ أعوذُ بِالله أنْ أكُونَ من الْجاهل (٦٧) قَالُوا ادع لَنا ربك يبين لَنا ما هي قَالَ إنه يقُولُ إنها بقَرةٌ لَا فَارض ولَا بِكْر عوانٌ بين ذَلك فَافْعلُوا ما تؤمرونَ (٦٨) قَالُوا ادع لَنا ربك يبين لَنا ما لَونها قَالَ إنه يقُولُ إنها بقَرةٌ صفْراءُ فَاقع لَونها تسر الناظرين (٦٩) قَالُوا ادع لَنا ربك يبين لَنا ما هي إن الْبقَر تشابه علَينا وإنا إنْ شاءَ الله لَمهتدونَ (٧٠) قَالَ إنه يقُولُ إنها بقَرةٌ لَا ذَلُولٌ تث الْأَرض ولَا تسقي الْحرثَ مسلمةٌ لَا شيةَ فيها قَالُوا الْآنَ جِئْت بِالْحق فَذَبحوها وما كَادوا يفْعلُونَ (٧١) وإذْ قَتلْتم نفْسا فَادارأْتم فيها والله مخرج ما كُنتم تكْتمونَ (٧٢) فَقُلْنا اضربوه بِبعضها كَذَلك يحيي الله الْموتى ويريكُم آياته لَعلَّكُم تعقلُونَ " (البقرة ٦٧ – ٧٣) .

هذه القصة القرآنية القصيرة جداً لها خمس قرائن في خمسة كتب مختلفة من كتب أهل الكتاب (التلمود البابلي ، كتاب القدوسين – المشنا PAR ١:٢ -التكوين ٩:١٥ – العدد ١:١٩-١٠- التثنية ١:٢١ – ٧) .

الكتب الثلاثة الأخيرة موجودة في الكتاب المقدس وبقية الكتب كتب نادرة جداً وفي حكم المخفية .

- تكلم سفر التكوين المشنا عن عمر هذه البقرة[٣٣]
- تكلم سفر العدد والتلمود عن لون البقرة[٣٤] وقد روى التلمود قصة "داما" الذى رفض شراء مجوهرات بسعر زهيد (لأن مفاتيح ماله كانت تحت رأس أبيه النائم ؛ حتى لا يوقظه) فكافئه ا بعجلة حمراء في قطيعه ."

لابد أن تكون هذه البقرة الحمراء لها مواصفات غير عادية لأنها مكافئة من ا على عمل جليل . وهذا يتفق مع بعض الأحاديث النبوية التى روت أن بقرة " داما" هذا هي صاحبة القصة وأنه قد باعها بأضعاف وزنها ذهباً ، بذلك كافئه ا على بره لوالده . لكن الحق أن هذه الأحاديث لا ترقى للصحة . وقد قال ا في نهاية القصة " فذبحوها وما كادوا يفعلون "؛

33 JUDAISM IN ISLAM (AB.+KATSH) P.71

34 المصدر السابق ص ٧٣

فمن الممكن أن يكون المقصود أنهم ما كادوا يذبحونها لثمنها . لكننا لا يمكن أن نجزم بذلك لذا لا نصدق ولا نكذب.

- أما رواية سفر العدد فتتكلم عن " ذبيحة خطيئة "

وقال الرب لموسى وهارون : هذه هي متطلبات الشريعة التى أمر بها : قل لنبي إسرائيل أن يأتوك ببقرة حمراء سليمة خالية من كل عيب ، لم يعلها نير فتعطونها لألعازر الكاهن ليأخذها إلى خارج المخيم وتذبح أمامه . ويغمس الكاهن إصبعه بدمها ويرش منه نحو وجه خيمة الاجتماع سبع مرات !!! وتحرق البقرة بجلدها ولحمها ودمها وفرثها على مشهد منه ، ثم يأخذ خشب أرز وزوفا ، وخيطاً أحمر ، ويطرحها في وسط النيران . ثم يغسل الكاهن ثيابه ويستحم بماء ، وبعد ذلك يدخل المخيم ، ويظل الكاهن نجساً حتى المساء !!! ويجمع رجل طاهر دماء البقرة ويلقيه خارج المخيم في موضع طاهر ، فيظل محفوظاً لجماعة إسرائيل لاستخدامه في ماء التطهير . إنها ذبيحة خطيئة . وعلى من جمع رماد البقرة أن يغسل ثيابة ويظل نجساً إلى المساء .. " (سفر العدد ١:١٩ – ١٠) .

مواضع الاتفاق بين هذه الرواية والرواية القرآنية ظاهر في أول الفقرة .. قل لبني إسرائيل.. بقرة حمراء (هذا قريب من الأصفر الفاقع) – سليمة .. خالية من كل عيب .. تذبح أمامه . أما بقية الرواية فتختلف تماماً فالقصة القرآنية تتكلم عن بقرة تذبح ليضرب بجزء منها (ببعضها) قتيل فيدل على قاتله المختلف فيه . أما سفر العدد فيتكلم عن ذبيحة خطيئة لا معنى لها مع وجوب رش الدم سبع مرات وبقاء الكاهن نجساً حتى المساء ، كذلك من يجمع رماد البقرة التى تذبح بجلدها ولحمها ودمها وفرشا!! هذه التفاصيل الأخيرة لا نجدها أبداً في الرواية القرآنية.

* وأما رواية سفر التثنية فتتكلم عن ذبيحة القاتل المجهول ": إذا وجدتم قتيلاً ملقى في الحقل في الأرض التى يهبها الرب إلهكم لكم لامتلاكها ، ولم يعرف قاتله . يقوم شيوخكم وقضاتكم بقياس المسافات الواقعة بين موضع جثة القتيل والمدن والمجاورة . فيحضر شيوخ أقرب مدينة إلى الجثة ، عجلة لم يوضع عليها محراث ، ولم تجر بنير ، ويأخذونها إلى واد فيه ماء دائم الجريان لم يحرث فيه ولم يزرع ، فيكسرون عنق العجلة في الوادي.

ثم يتقدم الكهنة بنو لاوي ، لأن الرب إلهكم قد اختارهم لخدمته ، ولإعلان البركة باسم الرب، وللقضاء في كل خصومة وكل ضربة ، فيغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبة من الجثة أيديهم فوق العجلة المكسورة العنق في الوادي . ويقولون : أيدينا لم تسفك هذا الدم وأعيننا لم تشهده .. " (سفر التثنية ٢١: ١-٧) .

التشابه بين هذه الرواية والقصة القرآنية واضح ففي الحالتان قتيل لم يعرف قاتله وكذلك ذبح بقرة (أو عجلة) لا ذلول تثير الأرض (وإن كانت بقية صفات تلك البقرة في القرآن نجدها في رواية سفر العدد) ... مع ذلك هذه الرواية تختلف مع الرواية القرآنية في أنها لا توضح لنا العلاقة بين القتيل والبقرة !! .

على العكس من القصة القرآنية التى جعلته من ذبح البقرة سبباً لإحياء القتيل ليدل على قاتله .

**** المفروض إذن أن محمداً صلى ا عليه وسلم قد اطلع على الروايات اليهودية المذكورة آنفاً ووجد بينهم بعض عوامل مشتركة فاستنتج منهم قصة البقرة بعد أن نقى تلك الروايات من التفاصيل غير المنطقية ، وأضاف إليها الإضافات اللازمة علاوة على عرضها بشكل بياني أو أنه فعل شيئاً غير ذلك كله ، أنه وجد أو اطلع على مخطوطة لم نجدها نحن حتى الآن تذكر القصة كما هي في القرآن !!!**

ثم وضعها في مكانها المناسب في القرآن ؛ حيث تعرض سيرة بني إسرائيل أيام موسى .

هذا من هيمنة القرآن على كتب أهل الكتاب بشتى الصور من اطلاع على المخفي وكشفه إلى الفصل بين الكتب الى تصحيح مقاصد القصص .

قصة أصحاب السبت

" وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الذين اعتدوا منكُم في السبت فَقُلْنا لَهم كُونوا قردةً خاسئ (٦٥) فَجعلْناها نكَالًا لما بين يديها وما خلْفَها وموعظَةً للْمتق " (البقرة ٦٥-٦٦)

" وَاسْأَلْهُمْ عن الْقَرية التي كَانت حاضرةَ الْبحر إِذْ يعدونَ في السبت إِذْ تأْتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لَا يسبِتونَ لَا تأْتيهم كَذَلك نبلُوهم بِما كَانوا يفْسقُونَ (١٦٣) وإِذْ قَالَت أُمةٌ منهم لم تعظُونَ قَوما الله مهلكُهم أَو معذبهم عذَابا شديدا قَالُوا معذرةً إِلَى ربكُم ولَعلهم يتقُونَ (١٦٤) فَلَما نسوا ما ذُكروا بِه أَنجينا الذين ينهونَ عنِ السوءِ وأَخذْنا الذين ظَلَموا بِعذَابٍ بئيسٍ بِما كَانوا يفْسقُونَ (١٦٥) فَلَما عتوا عن ما نهوا عنه قُلْنا لَهم كُونوا قردةً خاسئ " (الأعراف ١٦٣-١٦٦) .

* تتكلم قصة أصحاب السبت عن فريق من بني إسرائيل كانوا يسكنون قرية ساحلية ، وكانوا يعملون بصيد السمك ، فأراد ا اختبارهم فأمر ا السمك (الحيتان) بعدم الاقتراب من سواحلهم في أيام العمل الستة ، بينما يكثر في يوم السبت وهو يوم يحرم عندهم فيه العمل ، بل إن هذه الحيتان (الأسماك) كانت تظهر على الماء في يوم السبت إمعانا في اختبارهم .

فما كان من هؤلاء القوم إلا أنهم شرعوا يحتالون الحيل وروى أنهم كانوا يقيمون حواجز (مصائد) للسمك ليلة السبت ثم يجمعونه يوم السبت أو أنهم كانوا يربطون السمك يوم السبت ويتركونه في الماء ثم يخرجونه ليلة الأحد أو نهاره (كما روى ابن إسحاق عن ابن عباس وقال عن إسناده بن كثير أنه إسناد جيد).

وقد انبرى فريق منهم يحذر العصاة من مغبة عملهم ، بينما اكتفى فريق ثالث بعدم المشاركة في الإثم بل إنهم قالوا للفريق الناهي عن المنكر لم تعظون هؤلاء العصاة الهالكون . وكان عقاب ا سريعاً إذ مسخ العصاة قردة بينما نجى الفريق الناهي عن المنكر .

* هذه القصة القصيرة التى يأمر ا النبى صلى ا عليه وسلم أن يتحدى بها اليهود لكونها مكتوبة عندهم " ولقد علمتم " .. واسألهم " .. وهذه أهم صور الهيمنة القرآنية .

ليثبت لهم سابقتهم في المعصية ..

هذه القصة نجد لها عدة قرائن في كتب اليهود .

* أول تلك القرآن نجدها في الكتاب المقدس ، إذ يخاطب ا بني إسرائيل فيقول: " احتقرت مقدساتي ونجت سبوتي " (حزقيال ٨:٢٢)

أما كيف نجست أيام السبت هذه ؟ فلم يذكر هذا السفر ولا بقية أسفار الكتاب المقدس.

* لكنا نجد قرائن أخرى لكيفية إفساد أيام السبت والاحتيال عليها في كتب الحلقاه التلمودية وبعد التلمودية[35] التي تنص على أنه من المسموح به نشر مصائد للوحوش والأسماك ليلة السبت لجمعها جمعاً طبيعياً يوم السبت .

والطائفة الوحيدة التى حرمت نشر الشباك ليلة السبت هي طائفة اليهود القرائين في كتب الحلقاه عندهم .

* توجد قرينة أخرى في كتاب السنهدرين في التلمود البابلي B.Sanh.109a "حيث انقسم بناة برج بابل المذكور في سفر التكوين الى ثلاثة فرق ؛ قال لنصعد ونعيش في هذا البرج . وفريق ثاني قال : لنصعد ونعبد الأصنام . وفريق ثالث قال لنصعد ونحارب الرب . هذا الفريق الثالث عاقبه ا بأن حولهم إلى قردة وعفاريت"[36]

هذا الرواية تتفق مع القصة القرآنية في انقسام طائفة من بني إسرائيل إلى ثلاثة فرق (الفرق الثلاثة في القرآن هي : ١- الفريق الذي يحتال على السبت ٢- الفريق الذي لم يفعل ذلك ونهى العصاة عن هذه الفعلة .٣- الفريق الذى لم يشارك في هذه المعصية لكنه لم ينه عن المنكر) وتتفق هذه الرواية كذلك مع القرآن في تحول فريق من الثلاثة إلى قردة .

* آخر تلك القرآن نجدها في بعض كتابات الربيين القدماء[37] وفي ترجوم يروشالمي. حيث يتنبأ يعقوب بعقوبة لأبناء إفرايم إبن يوسف في أوقات لاحقة نتيجة إمساكهم السمك بأفواههم في سنوات بعد يعقوب .

---

[35] JUDAISM IN ISLAM "P.69-70

[36] JUDAISM IN ISLAM P.76

[37] BESKITA RABBATI 97.3; TANHUMA WA-YEHI 6

فيصيبهم لثغة ويواجهون نهايتهم مثل السمك[38]

* حتى ندعى أن محمداً صلى ا عليه وسلم هو مؤلف هذه القصة يجب علينا افتراض أنه اطلع على تلك الروايات التلمودية والترجومية والربانية فوجد خيطاً يجمع بينها؛ فجمع من هذه ما يتفق مع تلك ثم حزف القصة القائلة ببناء الإنسان برجاً يصل إلى السماء ثم يفكرون أن يعيشوا فيه لاستحالة ذلك عقلاً . ثم أضاف ذلك الحوار بين الناهين عن المنكر والساكتين عنه . ثم صاغ الرواية بإحكام بليغ أو أنه وجد مخطوطة لم نجدها نحن حتى الآن تذكر القصة كما رويت في القرآن فاقتبسها – ثم وضعها في موضعها المناسب في القرآن وتحدى بها اليهود !!!
* وكما أسلفنا هذه القصة مثل جامع لهيمنة القرآن الكريم على كتب السابقين . فكأنما القرآن إطلع على كل الكتب السابقة التى تكلمنا عنها في هذا الفصل – ففصل بين الكتب المختلفة وأظهر المخفي منها وصوب وصحح ونقاها من التفاصيل الخرافية وعرض العرض المبهر .

أي هذا المثل فيه تقريبا كل صور هيمنة القرآن التى استعرضناها في عملنا هذا.

خاتمة :

* = وبعد فقد استعرضنا في بحثنا هذا أولاً إعجاز البشارة بالقرآن في كتب أهل الكتاب المعتمدة وكذلك في المخطوطات المكتشفة حديثاً .
* ثم استعرضنا خاصية عجيبة للقرآن ذكرها القرآن عن نفسه فتحدث عنها وعن صورها ثم شرحنا تحقيق ذلك بالفعل في كتب أهل الكتاب مع ضرب الأمثلة . وهذا باب من الإعجاز نحسبه جديداً .
* = وصدقت د. بنت الشاطىء حين وصفت القرآن الكريم بأنه كلما حسب جيل انه بلغ منه مبلغاً إمتد الأفق بعيداً وراء كل مطمح .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

[38] THE LEGENDS OF THE JEWS (ON JOSEPH 375) P.138